

## \* الشعر والجماهير \*

(( الفن لازم للانسان حتى يفهم  
العالم ويغيره ))  
أرنست فيشر

غير ان حركة الحياة نفسها وصراعاتها المستمرة كانت تقدم على الدوام الاجابات الصحيحة والحاسمة ، ومنذ ظهور منهج بيكون في التحليل الى .. عصر التنوير .. الى ظهور الماركسية العلمية ، وعلم الجمال الماركسي .. بدأت النظريات القديمة تصطمم بالتساؤلات والشكوك والاجابات حول العديد من المسائل العالقة بالفن : نشأته .. مكوناته .. نوره .. متغيراته .. الخ .. الا ان الحركة لم تنته بعد ، ولا زال صراع المدارس الفنية والادبية محتدما حول قضايا فنية ونقدية متعددة ، وسيبقى هذا الصراع قائما ما دامت هناك طبقات متصارعة .. وحتى الى ما بعد زوال الصراع الطبقي ، ستبقى هناك خلافات حول مسائل متعددة في الفن والادب والنقد .

« الفن موقف طبقي » هذا التعبير كثيرا ما يساء فهمه واستعماله . في المجتمع الرأسمالي مثلا ، هل الفنون هي فقط لخدمة مصالح البرجوازية وثقافتها ؟

ان الاجابة بنعم ، فيها الكثير من النصف .. صحيح ان الفنون والادب والثقافة السائدة تخدم مصالح الطبقة البرجوازية السائدة في المجتمع الرأسمالي ، ولكن الى جانب ذلك ، كثيرا ما يقوم فنانون وكتاب وشعراء من هذه الطبقة ، من خلال تناجاتهم الفنية والادبية ، بتعرية وفضح ازمة المجتمع البرجوازي وثقافته وافلاسه الروحي . ان حديث الشاعر او الفنان البرجوازي عن غربته وعذاباته وهمومه وضياعه داخل مجتمعه يسجل بالحقيقة شهادة ثمينة ضد النظام الاجتماعي الذي يعيش به ، وهو بهذا يسهم بالنمو الى تغييره وان كان الشاهد نفسه لا يقصد ذلك ولا يريده .

الى جانب ذلك ، فان الطبقات الاخرى في المجتمعات الرأسمالية تنتج ادابها وفنونها ونقدتها الذي يعبر عن مصالحها وطموحاتها ، ونتاجات هذه الطبقات تكون في البداية ضعيفة غير مكتملة بفعل السيادة الهائلة لثقافة الطبقات السائدة التي تلقى ترويجا كبيرا لمدارسها ودهابها الفنية والادبية وحركاتها النقدية من خلال مؤسسات الاعلام والنشر والتوزيع الرأسمالية ، وبذلك تفقد هذه النواتج الفرصة الكافية للتكون والتبلور عبر عملية الارسال والتلقي بين الفنان والجمهور ، وشبر الدراسات النقدية القادرة على ترسيخ وتميم النماذج الفنية والادبية الجديدة .

\* \* \*

ان سؤال : « لمن يكتب الشعر » ؟ واستقراء الاجابة عليه من خلال النتاج الشعري في بلادنا وفي الخارج يكشف عن حقيقة بالفسة الالهية حول مسألة الشعر والجماهير .

« الفن للجماهير .. والحياة » . تحت هذا الشعار خاض الفنانون والادباء والنقاد الملتزمون واحدة من اعظم المعارك الثقافية في التاريخ المعاصر ضد مدرسة « الفن للفن .. والفن للصفوة والنخبة » . ولقد دارت هذه المعركة على الجبهة الثقافية جنباً الى جنب مع النضالات الطبقيّة والاقتصادية والفكرية والسياسية بهدف تقويض العالم القديم ، وبناء عالم جديد يتنفي فيه الاستغلال والاستعباد بكافة صورته واشكاله .

ولقد حسمت الحياة الى حد بعيد «موضوع» « الفن للجماهير » ، وولدت من خلالها اسئلة عديدة :

لم يكتب الشعر ؟ من أين نستمد افكارنا وموضوعاتنا ولغتنا الشعرية ؟ ماذا يريد الشاعر ان يحقق لنفسه وللجماهير التي يخاطبها ؟ وكيف يستطيع الوصول الى الناس والتاثير فيهم ودفهم باتجاه التغيير ، ودائما الى الامام والى الاجمل والافضل اهل وظيفه الفن عموما والشعر خصوصا ثابتة ام متغيرة ؟

وما الذي يحكم المتغيرات الجديدة في وظيفة الفن :  
- العصر بهوموه الكبرى وتياراته الثقافية والفكرية والفلسفية والاجتماعية والسياسية ؟

- المجتمع بصراعاته الطبقيّة ونضالاته القومية والديمقراطية ؟  
- موقع الشاعر وانتماءاته الطبقيّة وتكوينه الايدولوجي والنفسى؟  
ما علاقة شكل القصيدة بمضمونها ؟ وما علاقة الشكل والمضمون مما بالرحلة والمجتمع ، وبتمفيزات العصر ومهامه المتنوعة؟  
وما علاقة نشوء المذاهب الفنية والمدارس الادبية بحركة المجتمع والتاريخ ؟

ان هذه الاسئلة وعشرات غيرها ، لم تصد اسئلة «شروعة» فقط .. لكنها اصبحت موضوعات هامة للبحث والدراسة والتحليل .. في زمن سابق كان السؤال عن وظيفة الفن يلقي الكثير من الاستهجان والاستنكار ، ليس اقله اتهام السائل بتدنيس حرمت الفن المقدسة وتحويله الى تجارة . « الفن هو الفن » وكفى .. والفن ايضا ليس له علاقة بثقافة الطبقة السائدة ومصالحها « لان الفن شيء انساني يسمو على المسائل المادية والطبقية » . كان ذلك هو القانون السائد .. وكانت الحركات النقدية ايضا خاضعة لنفس القانون وتدافع عن ذات الاتجاهات الفكرية والفنية السائدة .

(١) فصل من كتاب « الشعر الفلسطيني المقاتل » الذي سيصدر قريبا .

حين يتوجه الشاعر بقصيدته الى الصفوة او النخبة من المثقفين والمتعلمين ( وهؤلاء في الاغلب ابناء الطبقة البرجوازية بشرائحها المتعددة ) ودون ان يهتم باصبال صوته الى جماهير الشعب المريضة والكادحة ، فانه في حقيقة الامر يعبر عن موقف طبقي برجوازي يحتقر الجماهير وثقافتها ودورها في الحياة ، وهو بذلك يكرر موقف الفلاطون في جمهوريته ، حيث الفلاسفة يحكمون والصيد ينتجون والمالكون يتمتعون .. لقد كان ذلك الفكر الذي انتجه مجتمع الرقيق وعلاقاته الانتاجية ونظرية تقسيم العمل فيه . كذلك فان موقف الشاعر الذي يكتب للصفوة من مثقفي البرجوازية هو افراز طبيعي للنظام الرأسمالي ونظرية تقسيم العمل فيه .

غير ان نظرية تقسيم العمل قد شهدت منذ اوائل هذا القرن ظاهرة جديدة رافقت سيطرة الامبرياليات الكبرى على العالم ، فلم تعد هذه النظرية مرتبطة فقط بالطبقات الاجتماعية داخل الانظمة الرأسمالية لكنها امتدت لتشمل العالم كله ، فاصبحت البلاد الفقيرة والمستعبدة تقوم بدور المنتج للدول الاستعمارية الى جانب الطبقات العمالية المسحوقة داخل هذه الدول .. ونتيجة ذلك نشأت ظاهرتان جديدتان :

الاولى : برزت اصوات العديد من الفنانين والشعراء والكتاب في دول العالم الثالث وحتى بين صفوف البرجوازيين الوطنيين وهي تحمل موقفا مناقضا ، ليس للاحتلالات الاجنبية فقط ، وانما لثقافتها وفنونها وادابها ايضا ، واستطاعت هذه الاصوات ان تكشف وتحتقن الثقافة والفنون الايجابية في الدول الاستعمارية والغربية ، والتي تمثل موقفا مناقضا للثقافة السائدة في تلك الدول . ولعل جون شتاينك نموذج واضح على ذلك ، فقد لاقى في بلادنا تبيجلا حقيقيا على اعماله الروائية الملتزمة ، خاصة روايته « عناقيد الفسب » ثم جرى رفضه ورفض كتاباته بمد موقفه المعادي للثورة الفيتنامية والمنحاز للامبريالية الامريكية .

وقد دعت هذه الاصوات الى التمسك بالثقافات الوطنية وبالالتزام الفني وتوجيه لخدمة الحركة الجماهيرية المعادية للاحتلال والهادفة للنهوض الوطني والتقدم الاجتماعي .

الثانية : الى جانب ذلك ظهرت اصوات عديدة في مجالات الفن والادب والنقد لم يؤمن اصحابها بمدارس الفن والادب الاجنبية فقط بل راحوا يدعون لها وينتجون اعمالهم الفنية والادبية على غرارها واستغرقهم التقليد ليس للشكل فقط وانما للمضمون ايضا ، حتى باتوا ابعد ما يكونون عن واقعهم وتراثهم ، وقاد ذلك الى ارتباط نتاجهم بالنخبة والصفوة من مثقفي البرجوازية بعيدا عن الجماهير وحركة الحياة الدائرة في بلادنا .

وكانت هذه الاصوات ( الاولى والثانية ) تعبيرا عن موقفين طبقيين في بلادنا ليس في مسائل السياسة والاجتماع فحسب وانما في مسائل الادب والفن ايضا .

الى جانب ذلك كله ، ادى الانتشار الواسع للماركسية (خصوصا في دول العالم الثالث وبين صفوف الطبقات العمالية في المجتمعات الرأسمالية ) وانتصار الاشتراكية في اكثر من ثلث مساحة الارض الى آثار بالغة الاهمية في بلورة الاتجاهات الفنية والنقدية ، وفي تثبيت وتعميم نماذج جديدة من الفنون والادب مفايرة للنماذج البرجوازية ومدارسها المختلفة ، ونشأت مدرسة الواقعية الاشتراكية في الفن والادب ، كما ظهرت مدرسة الواقعية الثورية لتوائم ظروف البلاد التي تتجاز مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية ، ولم تصل بعد الى مرحلة الثورة الاشتراكية .

لقد خضعت حركة الشعر العربي الحديث لنفس القانون الذي خضعت له ثقافات دول العالم الثالث التي وقعت فريسة للاحتلالات

الاجنبية ، غير ان ظروف الحياة وامتحاناتها الصعبة فرصت تطورات جديدة في مختلف المجالات ، كما فرصت مراجعات قاسية للثقافة السائدة .

## (( حزيران )) نقطة التحول في الشعر الحديث :

وصلت القصيدة العربية الحديثة قبل « حزيران » ١٩٦٧ اعلى درجات التعقيد شكلا ومضمونا ، حيث فرقت في الرموز الغريبة والايحاءات والدلالات المبهمة ، واصبحت المتعة الفنية عند حلقات المثقفين تتمثل في فك احجيات الشعر ، والتباري في وضع التفسيرات المتعددة للقصيدة الواحدة . حتى اصبح القموض مطلباً ، والرمز هدفا وصعوبة القصيدة مقياس روعتها وتفوقها ! في هذه الفترة راجت كتب الاساطير اليونانية والاربيقية ، وانكب الشعراء على البحث عن الاساطير الغريبة ليضمونها ( تجربتهم ) الشعرية .

وفي ذات الفترة شهدت المنطقة العربية اكبر حركة ترجمة للكتب الوجودية والفلسفات الاوروبية والمذاهب الفكرية والمدارس الفنية ، واصبح سارتر وكامي ودي بوفوار وكولن ولسون وبيكاسو ودالي من الابطال المرموقين لدى الشعراء وتجمعات (المثقفين) في بلادنا .

لقد سقط الفنان الاوروبي بعد الحرب العالمية الثانية(خصوصا) في خيبة امل فاجعة بالحضارة الاوروبية فشهدت الحركة الشعرية هناك تلك التمزقات العميقة والحادة ، وتداعت في وجدان الشاعر اللتاع من اختزان الذاكرة والتراث اشد الصور مأساوية وسوداوية ممثلة بالتراجيديات اليونانية والاربيقية ، كما عصفت بروحسه مشاعر الاغتراب والتوحد واللاتمام .. هذه الاجواء الفاجعة التي اطل عليها شعراؤنا ومثقفونا شكلت النموذج بالنسبة لهم .. ولم تتوقف عملية الترجمة على الاعمال الادبية والفنية فقط بل راح شعراؤنا وفنانونا يستنسخون ارواح فناني الغرب المتفربة والمعدبة ، فانمكس كل ذلك على شعرنا الحديث ، وهكذا وقع الفصام بين الشعر والجماهير لحظة ان انفصل الشاعر عن ثقافة الجماهير وقضاياها وهمومها وارتبط بالثقافة الاوروبية وقضاياها وهمومها . (١)

وتقع الكارثة في حزيران .

وحزيران ليس تاريخا للهزيمة في معركة عسكرية ، لكنه منطف جديد في الحياة العربية سياسيا وعسكريا وثقافيا ، وكان الشعر الاكثر استجابة للتحولات الجديدة ، فشهدنا منطفنا نوعيا في الحركة الشعرية مثلت الثورة الفلسطينية وطروحاتها محورها الرئيسي .. ومع الرصاص المقاتل انطلق الشعر المقاتل ليجهز على شعر الاغتراب والتفريب والاحزان الوجودية الذاتية والمستوردة ، ويسقط الرموز الغريبة وكل ملحقاتها ..

لقد خرج الشاعر من همومه وثقافته الخاصة بعد ان هزت الهزيمة كل مرتكزاته الذاتية و (قناعاته) الفنية والفلسفية الغربية ، ودخل معتزك الجماهير بحركتها واندفاعها وهمومها واشواقها ، فاصبح الشعر تعبيرا عن وجدان المجموع لا الفرد مستمدا موضوعاته وافكاره من حركة الاشياء الهادرة من حوله ، ومع الموضوعات والمضامين الجديدة في الشعر كان لا بد ان تنعكس على شكل القصيدة ايضا ، خاصة وان الشاعر الذي بات يستمد شعره من الجماهير اصبح حريصا ان يكون شعره مفهوما لها ، وهذا ينقلنا للحديث عن الشكل والمضمون في الشعر الفلسطيني المقاتل ، كما ينقلنا للحديث عن قضية الشعر وعلاقته بالجماهير ، وتأثير ذلك على شكل ومضمون هذا الشعر ، ومن البديهي القول ان الفصل بين الشكل والمضمون هو مسألة تصفية .

ورغم اننا سنلجأ الى هذا الفصل تسهلا للبحث فسنلاحظ ان

(١) هناك بالطبع استثناءات معروفة .. ولكن حديثنا ينصب على الحركة العامة للشعر الحديث .

حديثنا سيتداخل لشراكة كثير من المسائل بينهما .

في العلاقة بين الشعر والجمهير تبرز مسألة بالغة التأثير على طرفي العلاقة .. ان اجهزة الالتقاط الجماهيرية تتميز بحساسية عالية لما تلتقطه من الشعر ، وفي اللحظة التي تكشف فيها هذه الجماهير ان صوت الشاعر مشوش وغير مفهوم او غير واضح بالنسبة لها تدبر مؤشر اجهزتها لشاعر اخر او تقفل اجهزتها . والشاعر الحريص ان يصل صوته باكبر قدر من الوضوح للجماهير حين يلاحظ ان درجة وصوله الى الناس ضعيفة او مشوشة يبدأ بتعديل التكتيك في جهاز بثه الخاص ، وباجراء التغييرات الضرورية على موضوعاته ومضامينه بحيث يحدث نوع من التوافق والانسجام بين اجهزة الارسل و اجهزة الالتقاط ، وفي هذه الحالة تبدأ الجماهير بالاصغاء للانفعال . فالفاعل ، واخيرا التحرك .

كيف تمكن الشاعر الفلسطيني من تحقيق الوصول الى الناس ، وما هي المجالات الشعرية التي تعامل معها ؟  
اولا : الموروث الشعبي في الشعر الفلسطيني  
« الشعر كالثقل يحتاج الى طرفين منسجمين » ولا يحدث الانسجام بين الشاعر والجمهور الا اذا احسا بلغة واحدة .

ان الشاعر الثوري الذي يعيش وسط الجماهير والمقاتلين ويتحدث عن قضاياهم وهمومهم يحرص دائما ان يكون مفهوم لهم ، كما يحرص ان يؤثر شعره فيهم ويحركهم باتجاه الاهداف المشتركة التي يناضل معهم للوصول اليها .. وهو لا يستطيع ان يحقق ذلك الا اذا تحدث بلغة الناس او بلغة قريبة منهم .. ونحن حين نتحدث هنا عن اللغة لا نعني بها الالفاظ والمفردات والصيغ ، وانما نعني بلغة الناس معنى واسعا يشمل امثالهم وحكاياتهم واساطيرهم وقصصهم واغانيتهم وعاداتهم الخ .. الخ .. كما يشتمل على تراثهم الديني والشعري .. الخ .

ان هذه المجالات المتعددة التي تشكل لغة الناس وثقافتهم وتكوينهم النفسي والفني والاخلاقي لا بد ان يعرف الشاعر الثوري كيف يتعامل معها بوعي وحرص ، فلا شك ان جوانب عديدة من هذا التراث تمثل مواقف سلبية وانكالية ، ومطلوب من الشاعر ان يعيد صياغتها بروحية جديدة ليعيد صياغة افكار الناس ومسلاتهم .

ان الشاعر حين يتعامل مع ( لغة ) الناس و ( احاديثهم ) فيصوغها شعرا ثم يعاود تقديمها لهم مجددا بعد تحميلها الافكار التي يريد ، لا يشعر الناس بالغرابة او النفور مما يقدم اليهم فيتم قبوله والتفاعل معه بسهولة ، وبهذا ينجح الشاعر في نقل التأثير المراد الى المتلقين ، ويصل الى غرضه الاساسي بنقل ما يريد الى الناس لينتقل الناس بدورهم الى ما يريد الشاعر ، فيتم الشعر دورته المئوية .

الى اي حد نجح الشعر الفلسطيني المقاتل في التعامل مع لغة الناس في مجالاتها المختلفة ؟ هذا ما سنحاول الاجابة عليه .

## ١ - الاساطير القديمة والاباطال الشعبيين :

ان عملية استخدام الاساطير القديمة ورموز الابطال الشعبيين في التجربة الشعرية لا تنأت نتيجة لاكتشاف الشاعر المفاجي وبغالب الترجمة لهذا البطل الاسطوري او لتلك الحكاية الرمزية التاريخية ، والتي يصلح او تصلح لاستخدامها كرمز في القصيدة ، لان مثل هذه العملية لا تعني في النتيجة اكثر من اقام تصفي على العمل الشعري وتضمين ( مترجم ) لمضمون غريب في البناء الدرامي للقصيدة .

ان الشرط الاساسي لاستخدام الاسطورة ان تعني اساسا الشاعر نفسه ، بالفئة لها وتعايشه معها لانها جزء من ثقافته وتكوينه النفسي ، فالاساطير هي حكايات الجدات للاطفال والصفار وهي

ايضا من القراءات المبكرة للفتيان تعبر حياتنا بشكل عقوي فتختزنها الذاكرة وتتفاعل معها الوجدان ، والاسطورة ليست مقصورة على معرفة عدد محدود من الناس لانها ملكة اجتماعية يتناقلها الجميع ويتوارثها الناس جيلا بعد جيل .. من هنا حين يلجأ الشاعر لاستخدام احد الاساطير في بلاده فانه يكون منسجما مع نفسه اولا ومع الناس الذين يخاطبهم ثانيا .

ولهذا كان من الطبيعي ان يقوم الشعر المقاتل الفلسطيني بحركة ارتداد واسعة عن عالم الاساطير اليونانية والاغريقية التي اغرقت الشعر العربي الحديث وبلتقط من تراث الناس وحكاياتهم وابطالهم واساطيرهم رموزه الخاصة ذات الصلة الوثيقة بالشاعر وجمهوره ، وهكذا شهدت حركة الشعر الفلسطيني بثا خلافا لتراثنا الوطني واساطيرنا وابطالنا الشعبيين من خلال عملية اسقاط تاريخي على الواقع الراهن ، فيتم في وجدان الناس التزاوج بين الماضي والحاضر فيختصر الفد في ضمير الفعل .

خالد ابو خالد من ابرز شعراء الثورة الفلسطينية واقدمهم على التعامل مع الاساطير القديمة والابطال الشعبيين خاصة في تفرسته « اجتياز الليالي الالف يبدأ بخطوة واحدة (١) » ففي هذا العمل الشعري يتناول ابو خالد اكثر اساطيرنا شعبية وتداولها بين الناس ، وهو يتعامله الشعري مهما لا يتخير منها الجوانب الايجابية ذات الدلالات المعاصرة ، كما انه لا يقوم بمحاولة اسقاط الواقع على الاسطورة كما هو مألوف لكنه يقوم بعملية مزج محكمة بين الاسطورة والواقع .. بين التاريخ والجغرافيا السياسية الراهنة .

## عنترة بن شداد :

الفارس العربي الاسود المرفوض من قبيلته والتمه بنسبه يحتل في وجدان الناس الان رمزا عاليا للبطولة في الدفاع عن ثمار قبيلته بني عيس ، الى جانب ذلك ، فالعس الشعبي يختصه بدرجة مميزة من التعاطف والاشفاق .. فعنترة وحسده يقاتل ، ووحده يحقق الانتصارات للقبيلة ، ورغم ذلك يبقى محروما من حبيبته وابنة عمه عبل .. فيشعر الناس بالثقت لعمه مالك .

في قصيدة خالد ابو خالد يرتدي عنترة ( الموه ) ويقف على العرفوب ، يدافع عن الامة العربية ، ومالك يوقع صكوك الخيانة في البلاد البعيدة :

واقف .. واقف

عنترة

وجم الفرس والروم

كان وحيدا

...

واقفا ظل

حتى داهم الجوس بقايا بني عيس

على العرفوب

لكنكم لم تكونوا

رجعتم

قبل ان يبدأ الفزوة

رده العبد

...

هنا .. واقف .. واقف

عنترة

شرس الرمح

(١) منشورات دار الطليعة - بيروت ، ويشتمل على : تفرسة بني هلال ، سيف بن ذي يزن ، شهزاد وعنترة .

والسهم في الخاسره

• • •

وهو في الجبهتين واقف

بين جيشين

واحد زاحف من الغرب

والآخر المطارد في الشرق

انتم

وهم

وهو في الحالين

ظمين الرماح التي تلتقي

تتحالف

أو تعقد الصلح سرا

وجهرا

مالك يغمس الاصابع بالدم

يبصم تحت النصوص التي كتبت في البلاد البعيدة (١)

المهل ( الزير سالم ) :

لا شك ان اسطورة الزير سالم من اكثر اساطيرنا شعبية على الاطلاق واكثرها تداولاً خاصة في اوساط الفلاحين والكادحين ، ومن النادر على امتداد الوطن العربي أن يجهد احد قصة الزير سالم الذي نهض للثار من جساس قاتل اخيه كليب .

في اسطورة خالد ابو خالد الجديدة لم يمت المهل على ايدي العبيد رغم انه يقتل ، وجساس أيضا لم يمت على يد الزير سالم فلا زال حتى الآن يطارده المهل :

فيقتلني العبيد

اموت

لولا انني عاهدت ايتام القبيلة

ان يموت على يدي جساس

وان ابني على انقاضه وطني

وفي حيفا

على الميناء

اعلم انني الصلوك

فارسلها

المهل

ليس في كفيه غير جراحه

والسيف

والشهداء (٢)

ويتناول احمد دحور من هذه الاسطورة الشعبية وصية كليب

لاخيه الزير الذي يطالبه فيها بالثار لدمه والتي يقول في مطلعها :

اخوي الزير اخوي لا تصالح ..

فيقول :

وقرب رمحي الرديني

رايت رأس كليب

يضيء وجه المخيم

يقول لي : لا تصالح

يقول لي : انت ملزم

ان الدما لا تسامح

فهل تسدد ديني (٣)

( ١ ) من قصيدة « عنترة » ص ٤٣ .

( ٢ ) من قصيدة « المهل » ص ١٠ .

( ٣ ) ديوان « حكاية الولد الفلسطيني » ( دار العودة - بيروت ) ،

من قصيدة « العين في الجرح » ص ١١ .

سيف بن ذي يزن :

ملك اليمن العربي الفارس السذي قاتل وانتصر وحقق لبلده  
المجد استخدما الجان ، كما تروي الاسطورة ، لم يمت ولم يستخدم  
السحر والجان ، فهو قاتل بمجرد يديه وكلماته ، وهو ايضا لم ينتصر ،  
فهو لا يزال في المعركة يقاتل كما يؤكد خالد ابو خالد :

مات الفتى قبل سن البلوغ

وقيل : انتهى امره

حيث لا يرجع الميتون

وهيات حبيبتيه في الدموع

ولما ترعرع شوهد في كفر قاسم (١)

ذات صباح

وفي خده تنغيا شامة (٢)

فتوا بانهم قتلوه

فشوهد عند مخيم غزة (٣)

شوهد حول المدينة

يسري مع الليل

فاستنجت بجيوش ابيها

تفتش عنه بغزة هاشم

فوق ضفاف القتال

وفي بور سعيد

تلبس كل الوجوه التي قالت

والعيون الشهيدة

• • •

يقتل

يقتل

لكنه لا يموت

• • •

ويولد سيف بن ذي يزن فيكم

عبر هذي العصور النبیه

وعد الخلاص لكم (١)

ويتردد في شعر خالد ابو خالد مرارا ذكر سيف بن ذي يزن ،

فهو حنين المهدي والفارس المنتظر وأمل الخلاص والرجوع كما يقول

في قصيدته عرس الارض (٢) وهو حيناً آخر المسيح المخلص :

ولحظة اشتياقكم لفارس اليمن

يجيء من طفولة مزهرة الجراح

فوق خده علامة المخلص

الانسان

ليهدم الاسوار حول من احبها

صنماء (٣)

سيرة بني هلال :

او التغريبة ، كما هو شائع ، لا تقل انتشارا وشعبية عن قصة

( \* ) كفر قاسم : من قرى فلسطين المحتلة ارتكب فيها العسود

مجزرته الشهيرة .

( \* \* ) شامة : اسم حبيبة سيف بن ذي يزن .

( \* \* \* ) مخيم غزة : مخيم للفلسطينيين قرب عمان وبه ارتكب النظام

الهاشمي مجزرة بشعة .

( ١ ) اجتياز الليالي .. من قصيدة سيف بن ذي يزن ، ص ٢٩ .

( ٢ ) ديوان « وسام على صدر الميليشيا » ( دار الآداب -

بيروت ) ص ٦٠ .

( ٣ ) المصدر السابق من قصيدة « البكايسة الواحدة والعشرون »

ص ١٠٨ .

المهمل ، ويحوز أبطال التفرية على شهرة واسعة ويتحيز الناس حتى الآن الى هذا البطل أو ذاك فيها ، وباتت مشهورة قصة الراوي الذي كان يروي التفرية في إحدى القرى ورفض الناس ان ينهسي حكايته وذياب بن غانم في الاسر ، فاصروا على الراوي ان يكتمل القصة لآخراجه من اسره ، يقول خالد ابو خالد :

— اليها ففيها ابن غانم  
ينادي سلافة في الاسر  
— اسمع صوت رفيقي

وسمعي (١)

فيا ايها الحاكمون مدينة اهلي  
أحذروني

سلامة يزحف

فكوه أو فاقتلوه

فكل الجموع بساحاتها ابن غانم

لا تحسبوا اننا ننشني

كي تفكوا الرهائن في الجفر (٢)

انا زحفنا

فكونوا لها مثلما أمس كنتم على ربنا في مخيم اربد

.. لا

لا تخافوا

فما الموت الا لكم

ان تموتوا .. تموتوا

ولكننا ان دفعنا الجيوش الى الحرب

تولد فينا الجيوش البديلة (١)

ويستخدم ابو خالد هذه الاسطورة الشعبية بدلالة مختلفة في قصيدة « وسام على صدر الميليشيا » حيث ذياب بن غانم وابو زيد سلامة رمز للانظمة العربية التي لم تسع لتخليص سمعي او الزرقاء أو الثورة في مجازد ايلول في الاردن :

قال المعنى والاسى تاويه

زرقاء سابت وانسبت

وذياب في بحر الدما خلالها

يا حيف يا ابو زياد ما كان المشم

ترهب عيانك والاصيلة مشلوجة بحبابها

وحبابها .. ميليشيا (٢)

## السندباد :

السندباد في الوجدان الشعبي ليس بطلا على غرار عنترة والوزير ... لكنه رمز للامانة الماسر الذي يصادف في حياته الاحوال والمخاطر ، وقصة السندباد من اكثر قصص الف ليلة وليلة شهرة وتداول ، والشاعر الفلسطيني يستخدم السندباد ورحلاته كمعادل موضوعي للاحوال التي يواجهها الشعب الفلسطيني باحسا عن ارضه . في قصيدة « عودة السندباد » يقول خالد ابو خالد :

هذا انا السندباد الذي حاصرته المنافي

وصدته عنها الى البحر

— يا بحر انت تمثلتني في القرار

وفي الموج

ثبت ذراعي في المد

وادفع به

انهم ياكلون يديها

( ١ ) سمعي : حبيبة ذياب بن غانم الذي يدخل المدينة ليخلصها .

( ٢ ) الجفر : سجن صحراوي رهيب في جنوب الاردن .

( ١ ) اجتياز الليالي .. من قصيدة هلال ، ص ٨٥ .

( ٢ ) « وسام على صدر الميليشيا » ص ١٢٠ .

بلادي الضريرة قابضة أشرفت مقلتها

.. .

انادي

هنا يطلع السندباد على كل شطائها

والتلال الحيايى به

والجبال التي خباته

الى ان يقول :

اصر اليك الرحيل

ولو كان عنك (١)

ان تعامل الشعر الثوري الفلسطيني مع الاسطورة ورموز الابطال الشعبيين يحقق درجات عالية من النجاح الفني والسياسي ، فهدف الشاعر من استخدام الاسطورة واضح ومحدد ومرتبط دائما بقضايا الوطن والجمهير ، ولا يستطيع الناقد ان يعثر على استخدام واحد في الشعر الفلسطيني المقاتل يكون الرمز الاسطوري فيه تعبير عن هم فردي يعيشه الشاعر .. ولتقرأ الآن استخدام خالد ابو خالد لاسطورة السندباد من زاوية اخرى :

قالوا :

— مشقة هو العبور

فاول الوديان مريض التنين

يليه جحر حية وعمرها الفان

وثالث سحق كل الليل

ورابع يعج بالفيضان

وخامس الوديان طافح بالدم

وسادس الوديان يا مكفن الرؤى

«فاوز الاعصار والرمال

وبعده الذي تخافه الفرسان من زمان

ففي ذرى اطرافه جبال مفناطيس

تجرد الذي نجا من سيفه

لكي يجابه الارصاد عاريا

ولكن رغم وديان الموت السبعة فهمنا وخيارنا الوحيد ان نمر :

المهد ان نقاتل التنين

والفيضان والافمي

وان نمد وادي الدم فنطره

وان نروض الاعصار ان نبستن الرمال

ان نسخر الفولاذ في ذرى الجبال

ان نقيم الارصاد

ان نشق الدرب للاجبال

فلتمر .. فلتمر (٢)

## ب ( الشعر الفلسطيني واصنع الابطال الشعبيين :

لا يتوقف دور الشعر الفلسطيني المقاتل على التعامل مع الاساطير القديمة والابطال الشعبيين المشهورين ولكنه يسهم ايضا بصنع نماذج للبطولة الشعبية من خلال تناول حكايات عادية وشخصيات فنائية معروفة وتعميمها وايصالها الى درجة البطولة الشعبية :

الشاعر الشعبي ابو الصادق يتناول الاغنية المشهورة « ظريف الطول » ويمزجها باغنية « دلونا » ويصوغ من خلالها قصة البطل الفلسطيني ظريف الطول وحببته دلونا ونضالهما الطويل ضد

— التتمة على الصفحة — ٦٦ —

( ١ ) ديوان « اغنية حب عربية الى هانوي » ( وزارة الاعمال —

بفداد ) ص ٦٤ .

( ٢ ) وسام ... من قصيدة « كلمات من البعد الرابع » ص ٢١ .

## الشعر والجماهير

تابع المنشور على الصفحة - ٤٥ -

الاحتلال الانكليزي والحركة الصهيونية . كذلك يتناول الشاعر الشعبي يعقوب البدوي قصة واقعية حدثت بعد الهجرة عن سرحان ووضعي . سنعود الى هاتين القصيدتين عند حديثنا عن الشعر الشعبي . وإلى جانب هذا الشكل من صناعة وتعميم قصص الابطال الشعبيين يلجأ بعض الشعراء الى ابتكار رموز شعرية للفارس الفلسطيني والارض الفلسطينية دون ان ترتبط هذه الرموز بحكاية محددة كما فعل وليد سيف في ديوان « وشم على ذراع خضره » ، فالرمز الفارس هو زيد الياسين ، ورمز الارض هي حبيته خضره :

زيد الياسين

تحت الاشجار الفارعة الخضراء

قرب المخفر

ظل مشقوب اخضر

وجراح مزروعة (١)

وتحتل خضره في حكاية وليد سيف دور « جبينه » وهي بطله قصة مشهورة في حكايات الشعب الفلسطيني فتقني :

وغناؤك يثقيني حين يجيء :

( يا طيور طايره

ورايحه على عمان

ويا نجوم دايره

سلمين على ابي وابوي

وقولوا « خضره » راعيه (٢)

ويتناول « صخر » اسطورة شمشون ودليلة المشهورة ويعيدها الى الحياة بقالب جديد ومختلف عما في اذهان الناس ، ولكنه متطابق مع التاريخ المكتوب حول هذه القصة ، فدليلة امرأة فلسطينية قتلت شمشون اليهودي الذي غزا بلادها فلسطين ، ان البطل الشعبي هنا هو دليلة التي ناضلت من اجل وطنها وللانتقام لاهلها واسرتها التي قتلها شمشون الغريب والغازي . يقول « صخر » في مقطع من هذه الملحمة الشعرية الطويلة على لسان دليلة التي تسلم شمشون لقومها مرة ومرتين وثلاثا :

أيها الحائون

ضاعت عليكم فرصة الممر

عندما كان شمشون ضعيفا

اما عرفتم ان في قلبه من الحديد

والبيض لكم

وللشعب ما يجعل الحب حرفا

في واحة من الابجدية

كفي أيها الحائون بالسلم فوق سكوت المدافع

أيها الحائون

لا تقتلوا الاطفال بالخوف من شمشون

فهو ليس سوى جرة من البيض

حطمتها بحبي لكم .. ولشعبي

وللارض ... (٣)

(١) من قصيدة « اعراس » ص ٢٤ ديوان « وشم على ذراع خضره » ( دار العودة - بيروت ) .

(٢) من قصيدة « اعراس » ص ٢٤ .

(٣) صخر : من قصيدة طويلة لم تنشر بعد .

## الحكاية في الشعر الفلسطيني :

الى جانب الاساطير الشعبية وقصص الابطال ، يتعامل الشعر الفلسطيني المقاتل مع الحكايات والقصص المعروفة والمتداولة بين الناس ، وفي هذا المجال ايضا يتم استخدام الحكاية بتحليلها معاني وافكارا جديدة يريد الشاعر ان يوصلها الى الناس . قصة الخياط والسلطان العاربي :

قصة معروفة على نطاق واسع في فلسطين والوطن العربي . فالسلطان العبي يريد ان يرتدي لباسا لم يرتد مثله احد ويهدد احمد الخياط بالقتل اذا لم يصنع له هذا اللباس ، فيحتال الخياط على السلطان ويوهمه بانه يصنع له ملابس جديدة ، فيخرج السلطان الى الشوارع عاريا ليرى الناس اللباس الجديدة ، ولا يجرؤ احد على القول بان الملك عار ، ولكن طفلا صغيرا يصرخ وسط الناس فجأة : الملك يسير عاريا .. الملك مجنون .

يتناول احمد دحبور هذه القصة ويحملها دلالات جديدة :

طفل شقي جسور

في شفثيه الكلمة اللاهيه

وملء كفيه تراب العصور

فدا يكون الحضور

ويوم سار صاحب الجلاله

امامكم عريان

مهذا بالسوط والدينار والسجان

من لا يرى ثيابه المختاله

.....

كنتم بلا لسان

وانفلتت نبوة شقية تختال :

مولانا السلطان

مجنون عريان

من يستر .. من يكسو مولانا السلطان «

فضيحة السلطان (١)

## شهرزاد ألف ليلة وأيلة :

تعتبر من اكثر القصص الشعبية شيوعا ليس في وطننا العربي فقط وإنما على امتداد العالم ايضا . ويتناول خالد قصة شهرزاد في الليلة الثانية بعد الالف حيث تكون قد انقذت بنات جنسها من القتل على يد السلطان ، وحيث تكون ايضا كما يقول خالد قد اسهمت في تنظيم الجماهير خلال تلك المدة للاطاحة بالسلطان الجائر :

يروون هناك

ومن مذايك

وانتصارك

شهرزاد

على مذابح شهريار

.....

— كان يا ما كان

يا مولاي .. يا ملكي السعيد

ثلاثة

وثلاثة

وثلاثة

هرم يقوم

(١) « حكاية الولد الفلسطيني » من قصيدة « شهادة بالكلمات ل

وهكذا الفقراء ينتفضون  
- يا مولانا ادر كنا الصباح  
ويطبع المنشور  
يرحل من يدي يا قوت  
- سر يا -  
فتلقفه عيون الساهرين (1)

### شجرة الجنبي :

شجرة الجنبي التي يحوز عليها اصحاب الطالع الحسن ليحرقوها  
كلما وقعوا بضاقة فيحضر الجنبي لمساعدتهم تنكرر في العديد من  
القصص الشعبية ، ولكن الجنبي لا يأتي حين يحرق الفلسطينيون  
الشجرة :

سيطلب لحننا لوليمة الجزائر والصارى  
ونأخذ شجرة من خصلة الجنبي،  
نحرقها ليسمنا ،  
فلا يأتي

ولن يأتي سوى الفقراء (2)

ولستخد من صايغ قصة سنديلا التي يحفظها كل الاطفال :

وتقول الاسطورة  
ان الحلوة نامت والجنبيه  
ضربت بمصاها السحرية  
وسعى ابن السلطان يفتش  
من صاحبة القدم العاجية  
وتظل الاسطورة  
تمو  
لكمل  
تنسج آخرها (3)

### ج ( قصص التاريخ العربي في الشعر الفلسطيني :

يزدحم كتاب التاريخ العربي بالوف الاحداث الكبيرة والصغيرة  
والتي اخذت طابعا قصصيا مميذا عن طريق الرواية والتداول ،  
لما تمثله من مفاهيم اخلاقية او دينية . وكما تعامل الشعر الفلسطيني  
المقاتل مع الحكايات الشعبية ، تعامل ايضا مع هذه الاحداث والقصص  
نظرا لشهرتها الواسعة واستمرار تداولها ، ولما تحتويه من دلالات  
يوظفها الشاعر في خدمة فكرة قصيدته وفي احداث التأثير المضاعف  
لدى المتلقي الذي تشكل تلك الاحداث في وجدانه اصلا حالة فكرية  
ونفسية جاهزة .

من ذلك مثلا قصة عمر بن الخطاب والمرأة الفقيرة التي كانت تسلق  
الحصى لاطفالها الجياع ، فيتوهمون ان في القدر طعاما فينساون .  
يتناول هذه الحادثة كل من خالد ابو خالد واحمد دحبور .  
يقول ابو خالد :

ماذا اعد للعشاء فير حفنة الحصى (4)

ويقول احمد دحبور :

كانت الكسرة حلما شاهقا

نفغو ولا ترفى اليه

وبخار الحجر المسلوقة لا يضي

( ١ ) « اجتياز الليالي » .. من قصيدة « شهرزاد » ص ٩٨ .

( ٢ ) احمد دحبور : « ظائر الوحدات » من قصيدة « الدليل » ص ٦٥ .

( ٣ ) ديوان « قصائد حب لاسم مطارد » ( دار العودة - بيروت )

من قصيدة « مدينتي والثلج » ص ٥٩ .

( ٤ ) وسام .. من قصيدة « كلمات من البعد الرابع » ص ٢٠ .

ولا تضي امانينا لديه (1)

كما يقول في قصيدة اخرى :

فما هاجر الجوع

انا لنطبخ ما ليس ينصح (2)

ويستعيد احمد دحبور في احدي قصائده قصة طارق بن زياد  
المشهورة في فتح الاندلس :

- البحر من ورائكم ا

- ماذا وراء البحر ؟

- خليفة يسلبنا القوت وغار النصر

- البحر من ورائكم

- نحن نريد البحر (3)

ويشير في قصيدة اخرى الى احراق طارق للسفن :

احرقت ورائي ما وهبته بحار التيه من السفن (4)

وهناك قصة التحكيم المشهورة بين علي بن ابي طالب ومعاوية ،  
فيتمثل احمد دحبور شخصية عمرو بن العاص لكن بموقف ايجسابي  
لا خديعة فيه :

قلت : فليبدأ الماء (٥) .. يا فقراء العرب

انني خالغ صاحبي .. فاخلفوهم معا (٥)

ويشير في قصيدة اخرى الى قول مشهور لمعاوية :

من لم يقطع شعرات الوصل جميعا حيث معاوية المتراجع  
مطرود من يومي

مطرود من فرح اليوم الاتي بفلسطين (٦)

الخنساء ام عربية لا تزال نموذج التضحية في الوجدان العربي .  
وتتناول في صايغ قصتها المشهورة :

قالت امنا الخنساء لا تبكوا

فصخر فارس الفرسان

احلام ..

ولكنا

نمد طريقنا بالدم لا نبخل (٧)

ولستعيد في صايغ ايضا قصة عبد الرحمن الداخل لتشهده على  
مدبحة اربد :

كل الاشعة ، السفن الامواج

تفني

( عبد الرحمن )

لم يبق مكان

فالفرس جاء قبل الموسم (٨)

(1) ديوان « ظائر الوحدات » ( دار الاداب - بيروت ) من قصيدة

« الافادة » ص ٦ .

(2) حكاية .. من قصيدة « اليتامى » ص ٧٤ .

(3) المصدر السابق من قصيدة « ثلاثة خطوط متداخلة » ص ٢٨ .

(4) « ظائر الوحدات » من قصيدة « عيني يا عيني يا وطني »

ص ٣٣ .

(٥) الماء : يقصد به احمد دحبور عادة الحزب .

(٥) المصدر السابق من قصيدة « الولد الفلسطيني يدعو الى الكلمة

التي حذفتها الرقابة » ص ٩١ .

(٦) المصدر السابق من قصيدة « رسالة شخصية » ص ٥٥ .

(٧) ديوان « قصائد منقوشة على مسلة الاشرفية » ( جريدة فتح -

ملحق ) من قصيدة « اذا ركعوا » ص ٨٧ .

(٨) المصدر السابق من قصيدة « اربد وعبدالرحمن الداخل »

ص ١١١ .

## المثل الشعبي في الشعر الفلسطيني :

الشعب العربي من اكثر شعوب العالم اسخداما للاشكال الشعبية ، فلا يكاد حديث يخلو منها ، ولا تكاد توجد حادثة او مناسبة لا يتطابق معها واحد من امثالنا الشعبية او اكثر .

وللمثل الشعبي تأثير كبير في حياة الناس الفكرية والنفسية .. فالباحث عن التعزيات امام قسوة الحياة وهمومها يلجأ الى المثل . ومن اراد ان بوجه النصيحة او الانتقاد لآخر ، يجد احد الامثال الشعبية بمتناوله مهما تنوع الموقف والغرض ، وفي مجال التشبيه تحتل الامثال الشعبية والاقوال السائرة حيزا واسعا .

وللمثل في وجدان الناس مكانة الاعراف المقدسة وحكم القانون وفصل الكلام .. ويندر ان يحاول احد ان يناقش في صحة المثل وحكمته خاصة عند استعماله في مناسبه الصحيحه . فانت حين تواجه من يبذر امواله بلا حساب او تفكير بقولك : « خبي قرشك الابيض ليومك الاسود » . لا يكون الرد عادة بمناقشة ودحض صحة هذا الكلام .. وفي الغالب يكون الرد باستخدام نفس السلاح : « اصرف ما في الجيب باتيك ما في الغيب » . وتستجسد بدورك اكثر من رد ايضا : « ان السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة » او « على قد لحافك مد رجليك » . من هنا فان الشاعر حين يستخدم الامثال في شعره فهو يستعمل احد الاسلحة المشروعة والمعروفة اجتماعيا بما يتيح له احداث التأثير المطلوب في نفوس الناس .

ان استخدام المثل في الشعر الفلسطيني ليس عملية تسميىن ساكنة ، لان الشاعر يلجأ في اطار صياغته الشعرية الى احداث تبديل ما في المثل اذا كان يحمل معنى سلبيا او انه يتخير الامثال الايجابية ويلحمها ببناء القصيدة كما سنرى .

من الامثال الشائعة في بلادنا : « الكف ما بتلاطم المخرز » ، ويقال ايضا : « العين ما بتلاطم المخرز » ويستشهد عادة في هذا المثل من اجل ان يجنب المرء نفسه مواجهة قوى اكبر منه ، وهو بهذه الحالة يحقق شيئا من التوازن النفسي ، ما دام في حضي هذه ( الحكمة ) الشعبية المعروفة .

الشاعر المقاتل يرفض هذه السلبية ويدعو الى المواجهة مهما كانت القوى المقابلة لان خيارنا الوحيد ان نواجه :

وقد تعوي الثعالب وهي تدهن سمها بالشهد :

— صفار .. عظمهم بقو .. بدون كساء ..!

ايحتملون برد الليل ؟ هل نصر بهم يحرز ؟

— اجل .. ونهارنا العربي مفتوح على الدنيا .. على الشرفاء

اجل .. ويضئ هذا النصر في الطرقات والاحياء

لان الكف سوف تلاطم المخرز

ولن تعجز

الا لا يجهلن احد علينا بمد ، ان الكف لن تعجز (١)

ويخطب خالد ابو خالد والده الشهيد ، ويهاهسه على

مواصلة الطريق :

آه يا بابا

« من خلف ما مات »

وكنت وعدت يا امه بالعودة

ووعدي لم يزل ما مات (٢)

ويقول ايضا مخاطبا امه الارض وعلى لسانها :

قلبي على ولدي

( ١ ) حكاية .. من قصيدة « حكاية الولد الفلسطيني » ص ١٠٨ ،

احمد دحيور .

( ٢ ) وسام .. من قصيدة « بطاقات للعيد » ص ١٤ .

يا قلبه القاسي على الحجر (٣)

ما قال حتى الدار

دار ابونا

واجو الغرب يطحونا

ونفخت في قرب مقطعه (٤)

« الدار فقره والمزاد بعيد » (١)

وحين يفني ابو الصادق للشبال والزهرات يستخدم المثل

المصروف : « الصخرة يسندها حجر » ، فيقول :

سنوده يا ثورتنا

سنوده

والصخرة الكبيرة ما يسندها

غير حصوتين .. زغار (٢)

وتستخدم مي صايغ القول السائر « للجدران عيون واذان » ،

لتصف حالة الارهاب الذي يعيشه الوطن :

كان الدرب مباحا للغازين

وخطى الحراس اللصة والقانون

— ردي الشباك القربي الاخضر

ردي الاستار

للجدران عيون ، اذان

تصفي للأسرار (٣)

ويقول « صخر » في احدي رباعياته :

فلسطين لنا جبالها وسهولها

من غير ما نغديها كيف تطولها ؟!

بالحرب غير الحرب ما الها درب

« والارض ما يحرنها الا عجولها » (٤)

ويقول « ابو الصادق » ايضا مستخدما عدة امثال معروفة :

الرك عالمعدن

والاصل غلاب

مهما رقتوا

العوسجه

ما بتطرح المناب (٥)

## الاغنية الشعبية في الشعر الفلسطيني :

كما يلتقط الشاعر اساطير الناس وحكاياتهم وامثالهم ، يلتقط

ايضا اغانيهم الشعبية الدارجة ، ويستخدمها في اعماله الشعرية ،

وهذا الاستخدام ايضا ليس تضييما ساكنا تتعلق فيه الاغنية الشعبية

كجسد غريب في بناء القصيدة ، وانما تتحول الى جزء عضوي فيها .

وياخذ استخدام الاغنية الشعبية في الشعر الفلسطيني ثلاثة اشكال

اساسية :

الاول : ان يضمّن الشاعر كلمات الاغنية بكاملها ، وتكسون

علائقها بالقصيدة فقط في مناخها العام ودلالاتها على الصورة والفكرة ،

( ٣ ) اصل المثل : « قلبي على ولدي وقلبي على ولدي على الحجر » .

(٤) اصل المثل : « زي اللي ينفخ بقربة مقطوعة » .

( ١ ) وسام .. من قصيدة «اصداء الشجرة المقطوعة» ص ٧٢ ، ٧٤

( ٢ ) ديوان « ثوريات » من قصيدة « حصوتين صفار » ص ٨٥ .

( ٣ ) « فصائد جب لاسم مطارد » من قصيدة « ابي علسي القائمة

السوداء » ص ٦٩ .

( ٤ ) مجلة « فلسطين الثورة » عدد ١٤ ، ٢٧ ايلول ١٩٧٢ .

( ٥ ) ثوريات ، ص ١٠٩ .



كما نجد ذلك عند احمد دحبور :

بالهنا وام الهنا يا هنيه  
نادوا على ولاد عمو بيجولو  
بالطبول وبالزومور يجولوا  
والخيول المبرشمه يسرجوك  
بالهنا وام الهنا يا هنيه (١)

الثاني : ان يستعير الشاعر اللحن المألوف للأغنية الشعبية ويصوغ على غرارها كلاما جديداً لكن شرط ان توجد كلمة او مؤشر للحن الاساسي ، كما نجد ذلك عند مي صايغ في تناولها لأغنية « يا ظريف الطول » المعروفة :

يا ظريف الطول يا نقش الوشم  
وظلبتك يا زين .. رمح في العظم  
والثورة بالناس فيك بتلحم  
تازل ع عمان تلم صفونا (٢)

الثالث : ان يقوم الشاعر بعملية مزج بين الكلام الاصلي للأغنية وكلام الشاعر ، كما نجد ذلك عند خالد ابو خالد في قصيدته « شهرزاد » ففي الليلة الثانية بعد الالف حين يتحقق النصر على الطافية ، يمشى الفرح في العيون وتدعونا الدبكة وليالي الفناء :

وفوق القدس  
حزني يتلاشي  
والتفاريح التي ترقص اكتافي  
دعنتي  
حلقة الدبكة  
جفري (٣) .. انت يا فرح التراب  
- ادور وخيلي في رحابك  
زغردني  
يا مرجحا  
ويا ميجانا (٤)  
زهر البنفسج يا ربيع بلادنا  
الريح الشمالي (٥)  
عدي عجيبني  
الحمام المرتكي عالسيف (٦)  
والليل الهني  
فارد علينا جناحو  
يا حاصور  
ويا ريا انظري  
موسم حصاد سهولنا هذي السنه  
برجم حمامك يا مليحه  
بالفزل  
جاوبو زغولنا  
يا ميجانا (٧)

والى جانب هذه الاشكال الثلاثة الاساسية يلجأ الشاعر احيانا الى تصنيف اسم الاغنية او نوعية اللحن ليوحى بالجو الذي يريد تصويره مثل :

« يا ليل .. واويلك  
يا ليل افرد على الوادي  
جناح الشوق  
واووف يابا » (٨)  
وبفداي .. » (٩)

### العادات والتقاليد في الشعر الفلسطيني :

ان الشعر الثوري الملتزم لا يترك مجالاً يستطیع من خلاله ان يجعل من قصيدته اكثر وصولاً للناس والتأثير فيهم الا ويستفيد منه ، ومن الجوانب التي طرقتها القصيدة الفلسطينية : عادات الناس وتقاليدهم وحتى العاب اطفالهم وصور الحياة المألوفة لديهم .

فمن العادات المعروفة في فلسطين ما يسمى ( العونة ) .. ففي الريف الفلسطيني لا يقوم الناس عادة باستئجار عمال لبناء بيوتهم مثلا ، وانما يتعاون أهل القرية جميعا بالعمل لانجازهم ، وهذا ما يسمى ( العونة ) ، فيقول خالد ابو خالد :

جموعنا وانت « عونة » غد (١٠)

ومن العادات الدينية المعروفة ان المريض حين يشعر بدنو اجله يطلب ان يدار الى القبلة ، وتتناول مي صايغ هذه العادة وتضمنها معنى جديدا حين يطلب والدها المحتضر ان تديره الى الوطن :

يا « مي » ديريني على قبلة الرضا  
وارخي على خشمي حرير الرطايب (١١)

جرت العادة قديما - لا تزال في بعض الارياف العربية حتى الان - ان الزوج ليلة الزفاف يضع دم البكاراة على مندبل ليظهره امام الناس لابرز المنزلية والفحولة ايضا .. ويتناول احمد دحبور هذه العادة ويحملها ابعادا جديدة :

سيخرج الامير : في مندبله علامة البتول ،  
فلنشهد معا لراية الوصول .. والطهارة

.....

ما لفرقة الامير لا تجيب ؟

قلت : انتظري .. لا تسالي فتطفني الشرارة  
هنيهة

هنيهة واحدة وتهبط الستارة

الباب لا يسمعنا ،

وخلف مصراعيه نصرع الامير

.....

- خذ حمامة جاهزة لهذه المسائل اذبحها على المندبل

.....

قلنا من سحيق العمر :

تلك صعبة البكاره

.....

من يتخلص الحمام بعد زفة الامير (١٢)

(٣) يا ليل واووف اشارة الى نوع حزين من الفناء ، والبغناي نوع حزين من الالحن الموسيقية .

(١) ابو الصادق .. ثوريات من قصيدة « الغريب ونهر الخل » ص ٢٠ .

(٢) وسام ، من قصيدة « حكاية ريفية » ص ٢٨ .

(٣) قصائد حب .. من قصيدة « أبي على القائمة السوداء » ص ٦٨

(٤) « طائر الودعات » من قصيدة « فرسان المرأة الصعبة »

ص ٧٢ .

(١) « طائر الودعات » من قصيدة « حمل المحامل » ص ١٤ .

(٢) « اغنية جديدة الى ظريف الطول » مجلة « فلسطين الثورة » العدد ٣٧ .

(٣) جفري : اسم اغنية شعبية ترافقها رقصة الدبكة .

(٤) ميجانا : اسم اغنية معروفة .

(٥) الريح الشمالي : اشارة الى اغنية « على دلعونا » الشهورة .

(٦) المرتكي عالسيف : اسم اغنية .

(٧) اجتياز الليالي .. من قصيدة « شهرزاد » ص ١١١ .

## ثانياً: التراث الديني في الشعر الفلسطيني المقاوم :

شهدت منطقتنا العربية ولادة السيدات الرئيسة الثلاث في العالم . واحتل الدين على امتداد الاجيال حيزا هاما وعميقا فسي وجدان الناس ، خاصة الدين الاسلامي لارتباطه اليومي بشؤون الناس وحياتهم العادية . وكان طبيعي والحسب كذلك ان يتعامل الشعر الفلسطيني المقاوم مع هذه الديانات برموزها ودلالاتها المختلفة ، فبر ان هذا التعامل - كما سنرى - لا تكون نتيجته ما يسمى بالشعر الديني ، لانه اساسا لا يتعامل مع الدين كمسائل فنيية ، لكنه يتعامل معه كقوى مؤثرة تشكل مكوناتنا اساسيا في قلوبنا واذعان الناس ، وكما حرص الشعر الفلسطيني على التعامل مع الموروثات الشعبية ، حرص ايضا على التعامل مع التراث الديني للناس وهو الاكثر عمقا وتأثيرا .

### ١ - التراث الاسلامي :

ان تعامل الشعر مع التراث الاسلامي لم يكن وفقا على القرآن وحده ، وانما تعداه الى جوانب متعددة من الحياة الدينية الاسلامية اللاحقة ومذاهبها الدينية المختلفة كالشيعة وغيرها . ولا شك ان احمد دهبور هو الاكثر تقدما في مجال التعامل مع التراث الديني عموما ، وربما كان ذلك بسبب بيئته وتربيته البيئية ، فوالده شيخ دين معروف في مخيم حمص ، وعلى يديه حفظ القرآن منذ الصغر :

اسمي احمد

وابي من يفصل موتاكم

ويسحركم في شهر الصوم (١)

في تعامل الشعر مع التراث عموما ، فان اختياره يقوم اساسا على احداث حالة من التناوب بين فكرته الجديدة وعملية التضمين التي يقوم بها ، لنلاحظ هنا كيف يحقق احمد دهبور ذلك :

السيد الامين

كان له مفارة وخيط منكبوت

فلقت المطاردين خيمة السكوت

كان له تيمية البقاء من حليمه

وقته حصى اليتيم والتشرد المفقوت

واليوم .. حين الفيت حليمه

وماتت الاسرار في التيمية

عادوا من الطراد قاتلين :

ليس له مفارة .. وفي غد يموت

الا انه :

يشق في الجدار الف كوة ، تحقق انعتاقه

يعبر بين الجند والحصون (٢)

نلاحظ كيف استعاد الشاعر هنا مقطعا من حياة الرسول محمد حين كان هاربا ومطاردا ومنفيا عن بلده ، وذلك بهدف احداث حسالة من التناوب الموضوعي مع تشرد الشعب الفلسطيني ونفيه .. وفي نفس الوقت مع اصراره على تحقيق انعتاقه ، وعبسور اسوار النفي والحصار . وحول قصة الاسراء والمعراج يقول احمد دهبور :

وكان على الصخرة ينشج

ابو لهب يقتفيه ، فينهد ينشج

« ولو مت فيله

فان صلاتي الى الارض تخرج

تصوغ الحوار .. القبيلة

« الطره » عادة شائعة في الريف الفلسطيني . فعندما تحمل السماء يأخذ الفلاحون بقراءة دعوات خاصة تسمى « الطره » استعطافا لله لانقاذ الزرع . وكان مالوفا في هذه الاوقات ان تسمع الكبار والصغار يهتفون باداء موقع وهم يشخصون للسماء :

« يا اله الفيت يا ربي

تسقي زرعنا القربى » (١)

ومن المعاديات المرتبطة بظواهر الطبيعة ايضا ان يخرج الصغار عند خسوف القمر وهم يوقعون على الاواني المعدنية ويهتفون باصلي اصواتهم : « يا حوت لا توكل قبرنا » . فيتناول خالد ابو خالد هذه العادة في احدى قصائده :

يا ايها المشيعون طاطنوا رؤوسكم

وودعوه

والذكروه عندما يفترس الحوت على تالنا القمر (٢)

حين يصيد الشاعر رسم صور الحياة للناس في فلسطين ويتحدث عن اصغر الاشياء فيه مثل الحسبه والحنطور والدوشك الاخضر والعباب الاطفال - حين يتحدث الشاعر عن كل ذلك تمتلئ بالاحساس الحي بانك تلمس الوطن .

يقول ابو الصادق :

ما حد !!!

يا دارنا ما حد

فبيان ع صدر الشط

.....

ولا ايد بغي لشرع

تفزل يا دار لشبانه

ولا حد بيزاحم

قندام هالحسبه ( X )

والعم « ابو سالم »

لسه هناك لسه

يفاصل على شروه

ما حد

يا دارنا .. ما حد ..

زار « الديوان » ( X ) الاخضر

لسه في وسط

الدار

مطشان للزوار

ولسه في حارتنا

بيتجمعوا الشبان

ولاد المراكبه

.....

ولسه ف ليالي الصيف

بيتراكضوا .. وبيلمبوا

« طاق طاق طاقة » (٢)

ان صور الحياة اليومية التي رسمها لوحة « ابو الصادق » تشحننا بنوع خاص من الذكريات والحنين المتفجر حيث ملاب الاطفال الذين يشكلون العطفات ويهتفون طاق ، طاق ، طاقة .. وهيتم تنم رائحة الوطن في « دوشك » البيت العطشان للزوار .

( ١ ) ابو الصادق : « ثوريات » ، من قصيدة « فلسطيني » ص ٥٥ .

( ٢ ) وسام .. من قصيدة « البكائية الواحدة والمشرون » ص ١٠٨ .

( X ) الحسبه : سوق بيع الخضار .

( X ) الديوان : غرفة جلوس الصيوف .

( X ) « ثوريات » من قصيدة « مشوارنا مشوار » ص ١٦ .

( ١ ) « طائر الوحدات » من قصيدة « الالادة » ص ٥ .

( ٢ ) « حكاية الولد الفلسطيني » من قصيدة « ليلاب خطوط

الفتية » ص ٢٨ .

الى جانب ذلك فهناك كثير من الاستخدامات للقصاص القرآني  
ذي الاصول المشتركة مع الديانات السماوية الاخرى ، فيشير خالد  
ابو خالد مثلا الى قصة الانبياء الاربعين فيقول :

مفارة الجوع انا  
صحنت في اللام الانبياء الاربعين  
اكلتهم

اكلت بدمهم رفيهم

لان حزنهم عقيم

ناموا على انبيهم .. تصوفوا

واصبحوا ملائكة (٢)

كما يتناول قصة آدم وحواء وخروجهما من الجنة فيقول :

لم ناكل تفاحة آدم

.....

ناكل خبز القمح المعجون بشوق الارض ان هجرها

.....

والجاهل ان الجنة ما كانت الا في الارض (٢)

وتتناول مي صايغ قصة قابيل وهابيل بدلالات جديدة :

قابيل حين اولج السكين

في اخيه

قد فر من عيون ربه

او ظن انه يفر

.....

لكننا نراه

لن يمر

لا زلت احفظ الدماء (٣)

ويستعيد معين بسيسو قصة يونس والحوت :

الحوت هما يونس ..

لكننا نبحت في هذا الوطن الواسع

نبحت عن حوت (٤)

## ب - التراث المسيحي :

لا شك ان التراث الديني المسيحي بما يختص به من عذابات  
الصلب ومفاهيم التفضية والغداء ، غني بالايحاطات والرموز الشعرية  
المتناغمة مع عذابات الفلسطيني وهمومه وتضحياته ، وهناك درجة  
عالية من التناغم الموضوعي بين الفادي ( المسيح ) والفدائي ( المقاتل  
الفلسطيني ) ، فكلاهما يصل ذروة العطاء وهو الموت من اجل ان يمتلك  
المعزة .. والمعزة في الحالتين هي ( الخلاص ) للآخرين .

الواقع الملمع السلي يعيشه الشعب الفلسطيني بالنفى يطرح

السؤال :

بانظار الريح ..

آه جفت الريح

تري يبعثها الفادي الجديد ؟؟

ويجب ( يوحنا المهدان ) الذي بشر بمجيء المسيح :

- في الرمل تحت الرهل فاد يبعث النخل

سوق الاضاحي ، وتغني الاضاحي الدخيلة «

وكان اغتراب ورؤيا طويلة

وكان نبي الى الله يهرج (١)

وطير الابابيل لا تهبط من السماء وانما تنهض من الارض :

قلت : في فوارة القيف يجيء الفاتحون

وعلى ظهر حزيان المكابر

قلت عن طير الابابيل ، وعن دبح المنون

انها تنهض من مرج ابن عامر (٢)

والخلاص لا ياتي بانتظار المهدي لكنه بالسيف ياتي :

لم يرو كثيرا من اخبار الارض الطيف

لم يرو عن الحجر التكم ، والشجر المائل

قول الولد العاقل :

« سيخلصنا المهدي بالسيف »

لكننا ابصرناه .. وكان السيف (٣)

والكعبة ليست القبلة الوحيدة للمؤمنين :

ورأيت : كان السيف في كفي ،

وكنت لنظرة الفقراء كعبه (٤)

تحتل مذبحه كربلاء في شهر احمد دحور ذكرى عميقة بالدلالات

والايحاطات المعاصرة ، خاصة بعد مذبحه ايلول :

لا تسالي وجهي الجديد عن الاحبه

كانوا رعاة بالثياب وكانت الاسرار ذئبه

كنا نباعنا على موت يقيم من مذاب الموت في الاسر الطويل

فتقاسموا نمر النخيل ، ولم يمض احد سواي

.....

ودخلت في موتي وحيدا استعيل

وطنا ، فمذبحه ، ففريه

واتيت تسبقني يداي

يا كربلاء ، تطور في النار

اذكر كيف تنقلب الوجوه (٥)

الفلسطيني هو ضحية العيد الذي يذبح كل عام ، دون ان يفنديه

الله كما افتدى اسماعيل :

وآبي ..

مسح السكين في فروة راسي

آبه .. ابراهيم اني نادم

يؤسفني اني اطعتك

ما فداني الله

او امي حمتني

- ايها العيد الذي يذبحني اهلي

على عتبته في كل عام

انتي اسماعيل

لحمي ليس يؤكل (٦)

( ١ ) المصدر السابق من قصيدة « اليتامى » ص ٧٣ .

( ٢ ) المصدر السابق من قصيدة « البشارة » ص ٩٩ .

( ٣ ) المصدر السابق من قصيدة « عرس على الطريقة الفلسطينية »

ص ١١٠ .

( ٤ ) احمد دحور : « طائر الوحدات » من قصيدة « العودة الى

كربلاء » ص ٣٨ .

( ٥ ) المصدر السابق ، ص ٣٦ .

( ٦ ) ديوان « قصائد منقوشة على مسلة الاشرفية » من قصيدة

« نقوش محفورة على مسلة الاشرفية » ص ٧٧ .

ويحيي « طوبم » الريح الشهيد (١)  
وكما هو فاس انتظار الفادي ، قاسية هي ولادته :  
يلج التزيف والطلق يستفعل  
. . .  
هونا ،

لا تهزي اليك بالجدع فالنخل فريق في النطق (٢)  
والمولود الجديد هو المعجزة وهو الثورة :  
وتسكن تحت لساني لفات جديدة  
مكرسة للنبي - الجنين  
يخافونها لحظة ، يفلتون عليها خيول الياب  
وبعد خيول الياب  
اقول سينمو الجنين  
بشارة فاد بصلب العذاب (٣)

غير ان الطفل المخلص يطارده القتلة والسفاحون ولكن :  
فلتفرحي يا أم  
سيف البطش ينبو  
من رقاب لا تظال  
لو ان هيرودوس  
قد عرف الحقيقة  
كان ما ركب المحال (٤)

وحيثما بدأ المسيح ثورته لم يكن مسالما ، ولكنه صرخ فسي  
الصيارفة الذين يحتلون الهيكل : « يا اولاد الافاعي » . وطردهم  
خارج الهيكل :

منذ ومضى من السنين  
ظهر الهيكل الثمين  
فتزعمنا مغاوفه  
وطردنا الصيارفة (٥)

اذا كان المسيح الذي يملك سر الرب قد حقق المعجزة وسار  
على الماء ثم صلب ، فان الفدائي الفلسطيني لا يحقق المعجزة الا بعد  
ان يعبر الصلب فوق الجلجلة :

علمتني مسافاتها انه لن يسير على الماء  
من لم يعذب على الجلجلة (٦)

ولان المصلوب يصل الى قمة العطاء من اجسل الآخرين ويتحمل  
كل العذابات لاجلهم فانه يؤكد على مسؤولية الدم التي عليهم ان  
يتحملوها :

على جبل العذاب امامهم ولجلهم حملت الالف من الصليبان  
ولن يجدوا لهم علرا فما شبهت حين صلبت  
والمصلوب حين يرتفع على الصليب يصير منارة :  
تخبرني الاجراس هذا الليل

من مقاتل يعرفه الصغار

- ( ١ ) احمد دحبور : ديوان « الفوارى وعيون الاطفال » ( مطبعة  
الاندلس - حمص ) من قصيدة « الريح » ص ٥٠ .
- ( ٢ ) احمد دحبور : « طائر الوحدات » من قصيدة « ولادة المرأة  
الصعبة » ص ٧٨ .
- ( ٣ ) احمد دحبور : « حكاية الولد » .. من قصيدة « اجراس  
الميلاد » ١٩٦٥ ، ص ٤٢ .
- ( ٤ ) مي صايغ : « اكليل الشوك » من قصيدة « فتح » ص ٩٠ .
- ( ٥ ) احمد دحبور : « حكاية الولد » .. من قصيدة « العيسن في  
الجرح » ص ١١٨ .
- ( ٦ ) احمد دحبور : « طائر الوحدات » من قصيدة « حمل المحامل »  
ص ١٥ .

في يديه مسماران  
تكبر الحفول حوله ووجهه منارة :  
تصير مرة  
ومرة تقول : لا

وحين يستجديه منا قاصر ينهره  
يلامر بالنهوض حتى يركض الكسيح  
حتى تصبح البلاد قاب خطوة  
والشجر المنفي قاب خطوتين (١)

وحين يعتقد الطفلة انهم بصلبهم المخلص قد نجحوا بقتل الثورة  
يكشفون لحظتها كم هم واهمون :

ساعتها تخبرني الاجراس ان ساعتها حانت  
وان سيدنا يغادر الصليب  
سيختفي بعثة الرجال والطريق  
تبي فرحا مدينة  
وتكتسي بثارها المدينه  
تخبرني الاجراس ان اختي الحزينه  
تخرج من حدادها وتتبع الساري على المياه  
فتفتح الجسور صدرها وتبدأ الحياة (٢)

لا يتوقف استخدام رمز الصلب كتعبير انسي للمأساة والفداء  
على الشعر فقط ، فمعظم الفنون الفلسطينية تعاملت بدرجات متفاوتة  
مع هذا الرمز خاصة في مجال الفن التشكيلي .  
ومن الاستخدامات الشعرية لفكرة الصلب والفداء ما تقوله  
مي صايغ :

صلبت في كلي مسميري  
اسندت الى ظلك ظهري  
ونما الريحان على اخشاب صليبي (٣)  
وتقول ايضا :

— نحن ما قبنا  
روينا الارض منا  
وصلبنا  
لا يصير الشاة سلخ  
نحن للاسان والارض صلبننا (٤)

ولخالد ابو خالد قصيدة مشهورة بعنوان « على الصليب »  
كتبت عام ١٩٦٣ ونشرت في مجلة « الاداب » البيروتية ، وقد اثار  
فضة كبيرة في حينها خاصة في الكويت ، حيث الشعب المصلوب  
مدعو لكي ينزع مسمير جلاديه :

نزعت من يدي  
مسمار جالدي  
وله ايضا في نفس المعنى :

ويسوع مضى  
صلباننا تزحم صلبانا  
والمصر صليب

ويهوذا سلطان لا يدع (٥)

- ( ١ ) احمد دحبور : « طائر الوحدات » من قصيدة « الاجراس الميلاد » .  
١٩٧١ - ص ٤٨ .
- ( ٢ ) المصدر السابق ، ص ٥٠ .
- ( ٣ ) مي صايغ : « قصائد حب لاسم مطارد » من قصيدة « ابي على  
القائمة السوداء » ص ٧٨ .
- ( ٤ ) المصدر السابق ، من قصيدة « صورتان » ص ٤١ .
- ( ٥ ) خالد ابو خالد : « قصائد منقوشة » من قصيدة « رؤيا قبل  
الفرج » ص ٦٣ .

والشاعر الشهيد عمر فهمي يعني لعمان ايلول :

ما معنى ان اُصعد نحوك زحفاً وركوعاً

وعلى ظهري كل الصلبان (١)

والعماد رمز مسيحي آخر يتردد في الشعر الفلسطيني :

روتك مزنة الدماء

عمدتك

عانتك شهقة الرفاق

ذات عصر (٢)

وفي قصيدة يوسف الخطيب « أنهض من جنازتي وامشي »  
يحدد من عنوانها الإشارة الرمزية لقصة اليعازر الذي احياه المسيح  
بعد الموت ، وتتخلل القصيدة عدة رموز مسيحية واضحة :

وها انا اساق من مرحلة لمرحلة

اجر ثقل الصليب

واستحيل جهرة منثورة «مجلجلة»

خلاص موطني الحبيب

قل عني الطفل الذي يوسم من حليبه

أو سمني قتيل حب

بي جسد المسيح موثقاً على صليبه

في عالم بدون قلب

يا راجهي شعب فلسطين على ذنوبه

من منكم بدون ذنب (٣)

**الآيات الدينية في القصيدة الفلسطينية :**

ان الحديث عن استخدام الآيات الدينية في القصيدة الفلسطينية  
ربما كان اكثر ارتباطاً بالحديث عن شكل القصيدة واسلوبها . ويصدق  
هذا الكلام ايضا على تعامل القصيدة الفلسطينية مع الشعر العربي  
القديم ، وقد كنا نبينا سابقاً الى هذه القضية نظراً لتداخل مسالتي  
الشكل والمضمون والتعسف في فصلهما .

في تعامل الشعر الفلسطيني مسح الآيات الدينية : القرآنية  
او الانجيلية ، فانه يضمن الآية او جزءاً منها في القصيدة او انسه  
يستعير الايقاع الموسيقي للقرآن خاصة ، ويكون الكلام جميعه جديداً .  
في تضمين الشاعر لبعض كلمات الآية القرآنية وتبديل واصافة  
كلمات جديدة يقول احمد دحبور :

العالم أسرة أيتام تنضور

وفلسطين في هذا العالم

جناح تجري تحت حجارته الالغام (٤)

ويتناول عز الدين المناصرة آية مسيحية مطلعها « ابانا الذي  
في السماوات » ويصوغها بطريقة جديدة :

ابانا الذي في جهنم

تعود - انتظرنا طويلاً - تعلمنا الموت ...

فوق دروب الشقاء (٥)

وفي استمارة الشاعر لاسلوب القرآن وايقاعه الموسيقي وبعض  
مفرداته يقول احمد دحبور :

والعصر

ولياي عمان الابلوليات العشر

لن يفرح بالماء الظمان

( ١ ) عمر فهمي ، المصدر السابق من قصيدة « لكن لا تياس يا جنر  
الارض » ص ٢٠٥ .

( ٢ ) خالد ابو خالد : المصدر السابق من قصيدة « من تجربة  
الصعود » ص ٦٢ .

( ٣ ) يوسف الخطيب : جريدة « المقاومة » (بغداد) ، ١٦ نيسان ٧٤ .

( ٤ ) « حكاية الولد الفلسطيني » ، من قصيدة « عرس على الطريقة  
الفلسطينية » ص ١١١ .

( ٥ ) ديوان « الخروج من البحر الميت » من قصيدة « ابي وابولك  
وابوه » ص ٢٣ .

ما دامت يترك هذي البئر (١)

وفي استمارة الاسلوب الموسيقي يقول دحبور :

هذا زمان يكبر الفقراء فيه فيقتلون ويقتلون (٢)

**ثالثاً - الشعر العربي القديم في القصيدة الفلسطينية :**

« الشعر ديوان العرب » ، فهو اكثر فنون الكلام انتشاراً

وشهرة ، فكثيرون هم الشعراء وكثيرون ايضا منشدو الشعر وحفظته ،

والجماهير العربية تحب الشعر وتحفظه وتداوله ، وآيات كنيصرة

منه تصير بحكم الامثال الشعبية والاقوال السائرة التي لها حكم المثل

وتأثيره .

وفي تعامل الشاعر الفلسطيني مع الشعر العربي القديم ، فانه

يسعى لتكثيف الاحساس المراد توصيله الى المتلقي الذي يمتلك مسبقاً

شحنة عاطفية من بيت الشعر القديم او «قطعاً منه» .

وقد يكون استخدام الشعر القديم تاماً بحيث لا يجري الشاعر

على بيت الشعر أي تعديل مستفيداً فقط من ايراده في اطار المناخ

العام لفكرة قصيدته ، ومن هذه التضمينات الكاملة وهي قليلة :

وذكرت اهلي بالبراء وحاجة الشعث التوالب

المعمرين على التواد اللادحين الى الاقارب (٣)

ومنها :

لا تقبروني ان فبري محرم

عليكم ولكن ابشري ام عامر (٤)

اما التضمين الجزئي فهو كثير ومنه :

١ - يحيض القيم في عمان

ثم يشرب اهلنا كدراً وينظرون (٥)

٢ - اضاعوني وأي فتى اضاع الاهل والخلان

الا لابراتهم من دمي عمان (٦)

٣ - اذكر اذ لحافك جلد شاة عافر جرباء (٧)

٤ - وصحت بخير من ركب المطايا (٨)

٥ - ألا لا يجهلن احد علينا بعد ، ان الكفالفنعجز

**الخلاصة :**

حاولنا فيما تقدم ان نرصد المجالات التي تعامل معها الشعر

الفلسطيني المقاتل .. هذه المجالات التي يتكون منها وجدان الناس

وثقافتهم وحسهم الادبي عامة والشعري خاصة . وراينا كيف ان الشعر

الفلسطيني لا يكاد يترك جانباً من جوانب تراث الجماهير وموروثاتهم

الشعبية المختلفة ، واهتماماتهم العامة الا ويحولها الى صيغيات

شعرية تسهم في توصيل القصيدة للجماهير وفي تحميلها دلالات جديدة

لتطوير افكار الناس ودفعهم الى مواقف جديدة .

ان استعراضنا السابق يؤكد بوضوح ان حركة الشعر الفلسطيني

المقاتل هي اولاً من الجماهير وهي ثانياً للجماهير وهي ثالثاً من اجل

ان تكون اداة توير للجماهير واسلحة بايديها تقايل بها .

وهكذا تسهم الحركة الشعرية الفلسطينية المقاتلة « بخلق جيش

ثقافي » الى جانب الجيش المسلح « لاننا بحاجة الى جيش ثقافي

لتوحيد صفوفنا وقهر العدو » (٩) .

( ١ ) « طائر الوحيدات » من قصيدة « ان كان لحزنك ان يهوى »  
ص ١١٠ .

( ٢ ) المصدر السابق ، من قصيدة « العودة الى كربلاء » ص ٣٩ .

( ٣ ) خالد ابو خالد : « وسام على صدر المييشيا » وردت في قصيدة

« كلمات من البعد الرابع » ص ٢٠ .

( ٤ ) المصدر نفسه ، ص ٢٤ .

( ٥ ) احمد دحبور ، طائر الوحيدات ، ص ١٠٠ .

( ٦ ) نفس المصدر ، من قصيدة « حمل الحامل » ص ١٦ .

( ٧ و ٨ ) نفس المصدر ، من قصيدة « الدليل » ص ٦٦ .

( ٩ ) ماوتسي تونغ - المؤلفات المختارة - المجلد الثالث ، ص ٩١ .